الزَّواج عندَ البلوغ

العتيق أبو البراء

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنّ الزواج المبكّر –عند البلوغ– هو السنّة، وعليه عمل السلف. وذلك أنّ الشاب إذا بلغ سِن الخامسة عشرة ونحوها يُزوَّج من فتاة في سِنّه، وقد كان هذا الأمر شائعًا في القرون الماضية إلى زمن قريب، حتى غزت الناس عادات النصارى فأخّروا الزواج. إلا أنّ بعض المناطق –على قلّتها– بقيَت محافِظة على هذه العادة الطيبة، كبعض مناطق الشام واليمن.

قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]. روي عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، قال: «حتى إذا احتلَموا» [تفسير الطبري: ٨٥٧٦]. وعن عبد الله بن عباس، قال: «عند الحُلُم» [المصدر السابق: ٨٥٧٧]. وعن ابن زيد، قال: «الحُلُم» [المصدر السابق: ٨٥٧٨].

في هذه الآية، بيّن لنا الله عز وجل سِن الزواج، وهو: البلوغ والحُلُم. فالطفل إذا بلغ واحتلم فقد صار في سِن الزواج، وعلى وليّه أن يزوّجه. وليس تأخير الزواج من الإسلام في شيء، بل هو خلاف لكتاب الله وسُنّة نبيّه عليه الصلاة والسلام، الحاثّة على تزويج الشباب، وهو كذلك خلاف لعمل سلفنا الكرام.

قال عمر بن الخطاب: «زوّجوا أبناءكم إذا بلغوا، لا تحملوا آثامهم» [مسند الفاروق: ٥٠٨].

وقال سفيان الثوري: «كان يقال: حقُّ الولد على والده أن يُحسِنَ اسمَه، وأن يُزوِّجَهُ إذا بَلَغ، وأن يُحَجِّجَهُ، وأن يُحسِنَ أدبَه» [العيال لابن أبي الدنيا: ١٧١].

وقال قتادة: «كان يقال: إذا بلغ الغلام فلم يزوِّجْه أبوه فأصاب فاحشةً، أثِمَ الأبُ» [المصدر السابق: ١٧٢].

وقال ابن عباس: «من رَزقه الله ولدًا، فليُحسن اسمَه وتأديبَه، فإذا بلَغ فليزوِّجْه» [المصدر السابق: ١٧٣].

فتزويجهم في هذه السِن المبكّرة يحفظ فطَرهم من الفساد، خصوصًا في زمن الشهوات. فإن كُبتت الشهوة ومُنعت من تصريفها في الوجه المشروع تحت مبرّرات واهية، فقد يؤدي ذلك إلى مفاسد نفسيّة وعضويّة أشار إليها العلماء، كالانحراف نحو الفجور والشذوذ، كما هو الحال اليوم. وكان بالإمكان تجنيبهم هذه المزالق الضارّة باتّباع السنّة النبوية.

فينبغي للمسلمين أن يُحيوا هذه السنّة بعد اندراسها في هذا العصر بسبب دعوات التغريب ومحاربة الزواج المبكّر، وسياسة النظام العالمي المحارِبة للفضيلة. فإنّ الشاب أو الشابة أشدّ ما يكُونان شهوة عند بلوغهما، فمن الإحسان إليهما تزويجهما في هذه السِن وتجنيبهما الفتنة، خاصة في هذا الزمان الذي يتعرّضان فيه إلى سيل عارم من فتن الشهوات، وربما يحدث لهما بسبب ذلك الانتكاس والانحراف عن دين الله.

ولا نحتاج إلى تذكير المسلمين بهذا الأمر –فهو من البديهيّات–، أنّ الله هو الرزاق، فهو الذي يرزق الابن وزوجه. وقد يتردّد بعض الناس عمليًّا –وإن كان يُقِرُّ بلسانه!– بسبب ذلك، ويحمل همّ رزقهم، ويَغفل ويُنسيه الشيطان أنّ هذا الأمر ليس إليه، وإنما هو بيَد القائل: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن

فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

لا شكّ أنّ للزواج عند البلوغ فوائد كثيرة وجليلة للشاب والفتاة وللمسلمين عمومًا، ونذكُر بعضًا منها:

أولًا: فيه إرغام للنظام العالمي الكافر، الذي يسعى إلى نشر الرذيلة وإلجاء الناس إلى الفواحش، وذلك عبر فرض تأخير الزواج من خلال قوانينهم الطاغوتية.

ثانيًا: يحصل به العوَض عن العلاقات المحرّمة التي تؤدي إلى الوقوع في الفواحش، كالزنا واللواط ونحو ذلك، فإنّ ثورة الشهوة أشدّ ما تكون عند البلوغ.

ثالثًا: فيه تكثيرٌ لنسل المسلمين وتحقيقٌ لمباهاة النبي ﷺ بأمّته، فبه يتحقق إنجاب أكبر عدد من الأبناء.

رابعًا: بالزواج عند البلوغ يكون الشاب والفتاة في حماية من شرور المراهقة وطيشها، ممّا يؤدي إلى إخراج الشهوة العارمة عبر طريقها المشروع، فمعظم المشاكل التي تقع في هذه المرحلة سببها عدم الزواج.

خامسًا: يستفيد الزوج الشاب وزوجته من والديه في تسيير شؤون أسرتهما. فباستقرارهما مع والدَي الزوج في البيت، يكتسبان خبرة في الحياة الزوجية ويجدان من يوجّههما عند وقوعهما في أخطاء أو مواقف لا يُحسنان التصرّف فيها.

سادسًا: اعتياد الشاب على تحمّل المسؤولية من صغره ومواجهة متاعب الحياة، يُكسِبه صلابة وعزم الرجال مبكّرًا.

سابعًا: يتحقق به تبادل المشاعر الجميلة والصادقة بين الزوج الشاب وزوجته الفتاة، وأصدق المشاعر هي التي تكون عند البلوغ. فيعتاد كلٌّ منهما على الآخر، وتتكوّن شخصيتهما معًا، ويحصل الانسجام التام.

ثامنًا: تكون نسبة استمرارية الزواج عند البلوغ أكبر، لأسباب، منها قلّة الخلاف بين الزوجين في هذه السِن، وكذلك شدّة تعلّق الصغار ببعضهم مقارنة بالكبار.

تاسعًا: يوفّر استقرارًا نفسيًّا للشاب والفتاة، ويساعد كثيرًا على التركيز في حفظ كتاب الله وطلب العلم ونحو ذلك.

إنّ الزواج «المبكّر» أضحى ضرورة مُلحّة للشباب والفتيات في هذا العصر، خاصة مع انتشار فتن الشهوات بشكل كبير. ولا ريب أنّ من زوّج أحد أبنائه أو رعيّته عند البلوغ سيقِف على مصالح ومنافع أكثر ممّا ذكرناها، وبَركة هذا الزواج لا يعرفها إلا مجرِّب.

* * *

وفّق الله المسلمين لإحياء هذه السنّة الطيّبة.